

## علينا الذهاب إلى القديس الإلهي، حتى ولو وقفنا هناك مثل قروم الأشجار

المتروبوليت أثناسيوس ليماسول  
نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

"نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله الآب، وشركة الروح القدس، لتكن مع جميعكم" إن هذه البركة والنعمة التي نتلقاها ونقبلها تُعطى لأولئك الذين يحضرون إلى القديس الإلهي. لذلك نقول فلتذهبوا إلى القديس الإلهي وتشاركوا فيه. غالباً ما يسأل الناس: "لم عليّ الذهاب إلى القديس؟" عليك الذهاب لأنك لن تتلقى كل هذه البركات والنعمة إن لم تشارك في سرالشكر (الإفخارستيا).

نعمة ربنا يسوع المسيح... : ما معنى "النعمة"؟ إنها تعني القوة؛ إنها قوة الله غير المخلوقة؛ هي قوة مشابهة للطاقة الكهربائية. مثلاً، من رأى تياراً كهربائياً؟ لم يره أحد، إنه غير مرئي، ولكن إن لامست كابلاً مكشوماً فسيصدمك التيار الكهربائي. ليست الطاقة الكهربائية كالماء الذي تستطيع رؤيته، مع أنك ترى نتيجتها ويمكنك الشعور بها.

هكذا هي نعمة الله. إنها قوة غير مخلوقة؛ لا يمكنك رؤيتها ولكنك تشعر بها حين تتلقى هذه القوة من الخارج. يشبه الأمر توصيل ترانزستور فيبدأ بالعمل – هكذا هي النعمة. ليست شيئاً مجرداً، ليست شعوراً ما، ليست شيئاً وهمياً يختلقه المرء بنفسه. إنها لا تأتي من الإنسان، بل تأتي من الله وتدخل الإنسان، تفعله، فيدرك ذلك ويشعر به. النعمة هي قوة الله، قدرة الله التي تنشط نفوس البشر.

ومحبة الله الآب... : أحبّ الله الآب العالم بلا حدود، ولا يمكنك فهمه بعقلك؛ لا يمكنك وصف أو حدّ أو التعبير عن محبة الله؛ إنها متعذرة الوصف. لكنّ محبتنا بشرية. إننا بشرٌ وكائناتٌ محدودةٌ بطبيعة الحال. نقول: "أحبّ فلاناً من كل قلبي". ولكن، مهما قلنا أو فعلنا لِمَن نحَب، ستكون محبتنا أقل بكثير مما يمكننا قوله أو التعبير عنه.

والآن فكروا بالله: حين يحبّ الله، وهو غير المحدود بطبيعته، فلا العقل البشري ولا عقول الملائكة يمكنها أن تدركه، لذا لا يمكن لأحد أن يستوعب محبة الله بشكلٍ كامل، هذه المحبة الإلهية اللامتناهية للآب، الذي هكذا أحب العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي يُخلّص العالم، ولكي يأتي العالم إليه ويصبح البشرُ أولاده، ولكي نتمكن من الدخول إلى محبته وملكوته.

وشركة الروح القدس... : أي أن نشارك في نعمة الروح القدس، وأن تدخل فينا ونوحد بها. حتى نصبح كالطحين الذي، بامتصاصه الماء، يصبح عجينةً. لا يمكن للطحين عندها أن ينفصل عن العجين بحيث يمكن القول: "هذا طحين وهذا ماء"، لأنه قد أصبح عجينةً بالفعل. لذلك حين تكون لنا شركة في نعمة الروح القدس،

نصبح واحداً مع الله. وهذه البركة من الكاهن، والمأخوذة من رسالة القديس بولس الرسول (٢كورنثوس ١٣:١٣)، تنقل إلينا مباشرة بركة الثالوث القدوس.

لتكن مع جميعكم! : حين يقول الكاهن شيئاً ما أثناء القداس الإلهي أو الأسرار المقدسة، فإن ما يقوله ليس مجرد صلاة قد تتحقق أو لا. عندما يقول الكاهن شيئاً ما أثناء الأسرار المقدسة، من خلال كهنوته، فإنه يُعتبر بالفعل حدثاً منجزاً. على سبيل المثال، حين يبارك الماء ويصبح ماءً مقدساً، فليس هناك احتمال ألا يصبح ماءً مقدساً. حين يتلو الكاهن صلاةً على إنسانٍ أو يباركه، يستحيل ألا تكون هذه البركة بركةً بالفعل، بصرف النظر عن من هو الكاهن. قد يكون الأكثر إثماً أو بغيضاً أو سارقاً أو كاذباً أو خاطئاً، لا يهم. فإنه منذ اللحظة التي أصبح فيها كاهناً قانونياً، وإذا لم تكن الكنيسة قد جرّده من كهنوته، فإن بركته وليتورجيته تساوي الليتورجيا التي قد يخدمها المسيح بنفسه. أي لو كان هناك قداس إلهي يخدمه المسيح نفسه، وقداس يخدمه هذا الكاهن، فأى القداسين له قوة أعظم؟ إنهما متماثلان، لأن المسيح يتمم كل شيء في كل واحد، والكاهن هو خادم. من المؤكد أن الكاهن غير المستحق يحترق فيما هو يخدم بدون استحقاق، لأن الأسرار المقدسة لهيبت يحوله إلى رماد. ولكن سواء احترق أو تحول إلى رمادٍ فذلك شأنه، ولا يمكننا إدانته أو الحكم عليه. هناك أعضاء مختصّون في الكنيسة يمكنهم التحقيق في هذه القضايا. ما يهمنا هو كونه كاهناً قانونياً أو لا، إن كان قد تم توقيفه أو لا، وإذا لم يكن موقوفاً، فبفضل كهنوته يحتفل بالأسرار المقدسة.

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم إنه في عصره كان بعض الناس يكرمون الكهنة الصالحين. نحن نفعل ذلك أيضاً، تماماً بهذه الطريقة، بطريقة بشرية، أي نقول: "لقد جاء كاهن كذا وكذا! إنه رجلٌ قديس!" ويهرع الجميع لتقبيل يده. ثم يأتي كاهن آخر، للأسف ليس بقديس، أو لم نعتبره قديساً. يقولون له فقط: "بارك يا أب"، هذا إن قالوا ذلك حتى. من الجيد أن نأخذ بركته، ولكن ماذا يعني ذلك؟ ليس الكهنوت مسألة قداسة شخصية. سواء كان قديساً أو خاطئاً فهذا شأنه. عندما تكرم كاهناً قديساً فإنك لا تكرم الكهنوت بل القداسة، وحين تكرم أي كاهنٍ فإنك، في شخص الكاهن، تكرم الكهنوت، وتكريم الكهنوت تكرم المسيح مصدر الكهنوت ورئيس الكهنة الأعظم للكنيسة.

لذلك تقول إحدى صلوات القداس الإلهي: "لأنك أنت هو المقرّب والمقرّب، القابل والمورّع، أيها المسيح إلهنا". إن المسيح هو من يخدم القداس، وليس الكاهن. هو من يقربّ التقدّمات ويقربّ ذاته؛ هو التقدمة ومعطي التقدمة، هو يتمم كل شيء في الجميع.

إننا نكرم الكهنوت؛ نكرم نعمة الروح القدس الفاعلة عبر الكاهن. لذلك ويل لنا إن كانت الكنيسة قائمة على القداسة الشخصية؛ أي إذا كان الكاهن قديساً فالليتورجيا صحيحة، وإذا كان خاطئاً فالليتورجيا باطلة. ليس الأمر كذلك. لذا فحين يحتفل الكاهن بسرٍ مقدس، تنتقل كل بركة الله ونعمته عبر الكهنوت إلى البشر.

ستقولون لي: "لماذا تمتلك بركة بعض الكهنة قوة فيما بركة كهنة آخرين فلا تمتلك هذه القوة؟" لا يتوقف الأمر على الكاهن، بل لأننا لا نقبل البركة بإيمان، لأننا بشر ولنا ضعفاتنا البشرية. لنا إيمان أكبر حين نتلقى بركة

كاهن قديس لأننا نُعدّ أنفسنا مسبقاً بإيماننا قائلين: "إنه قديس، رجل صالح"، وهلمّ جر. لذلك فإننا، وبإيماننا نهيبُ أنفسنا له.

علينا أن نشترك في القداس الإلهي، حتى ولو وقفنا هناك كقروم الأشجار. سيقول البعض: "لست كما ينبغي أن أكون. لا أفهم شيئاً منه (أي القداس). لا يمكن لعقلي التركيز هناك". ولكن اذهبوا، مهما يكن. قال أحد الشيوخ: "حين تتوقف عند متجر عطور، فإن ثيابك تفوح برائحة زكية بعد أن تغادر، حتى ولو لم تشتري شيئاً". هذا ما يحدث، كما يقول، حين تذهب إلى القداس.

ربما لن تستطيع القيام بأي شيء روحي، ولكن كونك ذهبت، حتى ولو وقفت هناك كقروم شجرة، هذا شيء ما بالفعل. لذلك قل لنفسك: "سأذهب كما أنا؛ كقطعة حطب غير مقطوعة. في نهاية الأمر، يعرف الله كيف يشحذ قطعة حطب غير مقطوعة". إذا لم تذهب متعذراً بالقول: "لا أستطيع. لا يمكنني التركيز"، حينها سيزداد كل شيء سوءاً، ولن تتحسن أبداً.

Source: Metropolitan Athanasios of Limassol. We Have to Go to Liturgy, Even if We Stand There Like Stumps. Pravoslavie. <https://orthochristian.com/144079.html>